خواطر في زمن المحنة (2) الكاتب : ماجد الدرويش التاريخ : 25 فبراير 2012 م المشاهدات : 4466



## الخاطرة الأولى:

أخرج الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ \_ رضي الله عنه \_، عَنِ النَّبِيّ \_ صلى الله عليه وسلم \_: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَلَا تُقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عظيمتان تكون بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تُقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّالُونَ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَكْثُرَ الْفِتَنُ وَيَكثُرَ الْهَرْجُ، وَلَا تُقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّالُونَ وَيَكثُر الْهَرْجُ، وَلَا تُقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّالُونَ كَذَّالُونَ كَلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيَقُولُ لَيْتَنِي مَكَانَكَ، وَلَا تُقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا الناس، آمنوا أجمعون، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُهُ مِنْهُ)).

قال الحافظ ابن رجب: "وَمَضْمُونُ مَا ذُكِرَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْأُمُورَ تَوَسَّدُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ))، فَإِنَّهُ إِذَا صَارَ قَالَ النَّبِيُّ \_ صلى الله عليه وسلم \_ لِمَنْ سَأَلَهُ، عَنِ السَّاعَةِ: ((إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ))، فَإِنَّهُ إِذَا صَارَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رِعَاءُ الشَّاءِ \_ وَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ \_ رُوُّوسَ النَّاسِ، وَأَصْحَابَ الثَّرْوَةِ وَالْأَمْوَالِ، حَتَّى يَتَطَاوَلُوا فِي الْبُنْيَانِ، فَإِنَّهُ لِأَنْهُ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ \_ رُوُّوسَ النَّاسِ، وَأَصْحَابَ الثَّرْوَةِ وَالْأَمْوَالِ، حَتَّى يَتَطَاوَلُوا فِي الْبُنْيَانِ، فَإِنَّهُ لِلَّا الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ \_ رُوُّوسَ النَّاسِ مَنْ كَانَ فَقِيرًا عَائِلًا، فَصَارَ مَلِكًا عَلَى النَّاسِ، سَوَاءً كَانَ مُلْكُهُ فَإِنَّهُ لِا يَكَادُ يُعْطِي النَّاسَ حُقُوقَهُمْ، بَلْ يَسْتَأْثِرُ عَلَيْهِمْ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ، فَقَدْ قَالَ عَامًا أَوْ خَاصًا فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُعْظِي النَّاسَ حُقُوقَهُمْ، بَلْ يَسْتَأْثِرُ عَلَيْهِمْ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لِئَنْ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى فَمِ التِيِّيْنِ، فَيَقْضِمُهَا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُدَّهُا إِلَى يَدِ غَنِيِّ قَدْ عَالَجَ الْفَقْرَ. وَإِذَا كَانَ مَعَ هَذَا جَاهِيًا، فَسَدَ بِذَلِكَ الدِينُ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ هِمَّةٌ فِي إِصْلَاحٍ دِينِ النَّاسِ وَلَا تَعْلِيمِهِمْ، بَلْ هُمَّتُهُ فِي جِبَايَةِ الْمَالِ وَاكْتِنَاذِهِ، وَلَا يَبُومُ مِنْ دِينِ النَّاسِ وَلَا تَعْلِيمِهِمْ، بَلْ هُمِثَةُ فِي جَبَايَةِ الْمَالِ وَاكْتِنَاذِهِ، وَلَا عَلَى مَنْ أَهُل حَاجَاتِهِمْ.

وَقَالَ فِي حَدِيثِ آخَرَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا)). وَإِذَا صَارَ مُلُوكُ النَّاسِ وَرُؤُوسُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ انْعَكَسَتْ سَائِرُ الْأَحْوَال، فَصُدِّقَ الْكَاذِبُ، وَكُذِّبَ الصَّادِقُ، وَالْتُمِنَ الْخَائِنُ، وَخُوِّنَ الْأَمِينُ، وَتَكَلَّمَ الْجَاهِلُ، وَسَكَتَ الْعَالِمُ، أَوْ عَدِمَ بِالْكُلِيَّةِ، كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ \_ صلى الله عليه وسلم \_ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ))، عَدِمَ بِالْكُلِيَّةِ، كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ \_ صلى الله عليه وسلم \_ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ))، وَأَخْبَرَ: أَنَهُ ((يُقْبَضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلْمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُوا وَأَضْلُوا)).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَصِيرَ الْعِلْمُ جَهْلًا، وَالْجَهْلُ عِلْمًا. وَهَذَا كُلُّهُ مِنِ انْقِلَابِ الْحَقَائِقِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَانْعِكَاسِ الْأُمُورِ". انتهى.

#### الخاطرة الثانية:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ \_ رضي الله عنه \_ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ \_ صلى الله عليه وسلم \_: ((أمّتي هذه أمّة مَرْحُومةٌ ليس

عليها عذابٌ في الآخرة، عذابُهَا في الدنيا: الْفِتَنُ، والزلازلُ، والقتل)).

قلت: وهذا في العذاب العام الذي يصيب الأمة مجتمعة، كما حصل مع الأمم السابقة التي كذبت نبيها وحاربته، فأهلكهم الله \_ تعالى \_ إهلاكاً عاماً. وأمتنا \_ وبالأخص في مطلع القرن العشرين \_ حاربت دين الله \_ تعالى \_ أيما محاربة، فقتلت أتباع الأنبياء، وعطلت شرع الله \_ تعالى \_ ، وحكمت بغير ما أنزل الله، واعتبر الدين تخلفاً، والكفر تقدماً. فلولا هذه الرحمة التي سبقت لأهلك الله \_ تعالى \_ هذه الأمة. وهذا لا علاقة له بالعذاب الفردي لكل مسلم فليتنبه. والله أعلم.

## الخاطرة الثالثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ \_ رضي الله عنه \_ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ \_ صلى الله عليه وسلم \_: ((يَكُونُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللّهِ وَيَعْدِلُونَ فِي عِبَادِ اللّهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُلُوكٌ يَأْخُذُونَ بِالثَّأْدِ، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ، وَيَصْطَفُونَ الْأَمْوَالَ. فَمُغَيِّرٌ بِيَدِهِ، وَمُغَيِّرٌ بِلِسَانِهِ، وَمُغَيِّرٌ بِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمانِ شَيْءٌ)).

فيا من جبن عن قول كلمة الحق، لا تتحفنا بخذلانك والناس يجودون بدمائهم لأجل كرامتك وكرامة أمثالك، وغداً عندما يكرمك الله \_ تعالى \_ أنت وسواك بحكم تشعر فيه بإنسانيتك تذكر فضل هؤلاء عليك، وأنك خذلتهم في موضع احتاجوا فيه لنصرتك.

### الخاطرة الرابعة:

أخرج أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ بسنده عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ \_ رضي الله عنهما \_، عَنِ النَّبِيِّ \_ صلى الله عليه وسلم \_ قَالَ: ((إن الله عز و جل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائنا خلافة ورحمة، وكائناً ملكاً عضوضاً، وكائنا عنوة وجبرية، وفساداً في الأرض يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله)).

فيا من يرى الخيرات عند الآخرين، لا تغتر بهذا، فالعاقبة للمتقين؛ {وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُ المُفْسِدِينَ(77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي الدُّنْيَا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ(78) فَخَرَجَ عَلَى عَلْم أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ(78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي ذِينَتِهِ قَالَ النَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيُلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلّا الصَّابِرُونَ(80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ لِللهُ مِنَ المُنْتَصِرِينَ (18) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَادُ مِنْ اللهَ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ (18) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَادُ وَلَا فَاللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ عَبَادِهِ وَيَقُدرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَ اللهُ عَلَيْنَا لَحَسَفَ بِنَا وَيُكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ (82) قَلْكَ أَللهَ وَمَا كَانُ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ عَبَادِهِ وَيَقُدرُ لَوْلاً فَي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِينَ (83) مَنْ جَاءَ بِالصَّيَّةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيَتَّةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيَتَا وَلَا اللهَ يَعْمَلُونَ (84)}.[القصص: 77–84].

اللهم ثبتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، واجعل رضاك والجنة قبلتنا. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

# المصادر: